تدريجيا من الاجحاف ، عندما رأت انها قادرة على ذلك . كذلك فعلت الثورة الفيتنامية . وكذلك فعلت ثورة اوكتوبر .

فهل ستفعل الثورة الفلسطينية مثل سواها من الثورات ، أم ان لها منطقا آخر ؟ ان هذا السؤال لم يعد سؤالا عاديا بل أصبح من الامور الاساسية التي لم يعد من الممكن الهروب من مواجهتها .

هل تجلس الثورة الى مائدة مفاوضات مع اسرائيل وما هو ثمن المكسب الذي ستنتزعه : اعتراف ، صلح ، مناطق مجردة من السلاح ، وصاية الخ... على الثورة ان تقرر بجرأة اذا وجدت نفسها أمام هذا الامر .

هذا أيضا يختلف الجواب عليه عند قادة المقاومة . البعض يريد الجمع بين الالتزام المبدئي وبين الواقعية . البعض الاخر يرفض الامر الواقع ويرفض التنازلات . وبالطبع فان رفض الامر الواقع، بالنسبة للشعب الفلسطيني، اذا كانت القضية تتعلق بالحقوق التاريخية ، هو رفض مشروع . لان الرفض هنا يعني التمسك بالحقوق . الا ان رفض التنازلات ، بصورة مطلقة ، تحت شعار الدفاع المطلق عن الحقوق ، أمر يتنافى مع عالم النضال الثوري . وبعض قادة المقاومة يرون أية تسوية اذا كانت متناقضة مع حركة التطور التاريخي — وهو أمر ممكن الوقوع — لا يمكن ان تستمر ، لا يمكن ان تصبح امرا ثابتا مستقرا . وكثير من المواثيق والمعاهدات تعرضت للتمزيق عند اول تبدل حصل في ميزان القوى . ويؤكد أصحاب هذا الرأي من قادة الثورة الفلسطينية ، بأنه يجب انتزاع السلطة الوطنية ، قبل كل شيء ، قبل الحديث عن قدرتها على العيش وقدرتها على التحرك وسط الحصار . فالمرحلة برأيهم ، الان ، هي مرحلة استرجاع وطن ولو كان صحراء وليست القضية قضية اختيار طريق للتطور او شكل محدد للسلطة . فضلا عن ان الحصار هو أمر غير ذي أهمية كبرى حتى على المدى المنظور ، استنادا الى الثقة بالحركة الوطنية في الاردن التي تضم في صفوفها قوى فلسطينية ذات وزن وتأثير كبيرين ، وكذلك بمجمل التطور الذي سيحصل في كل حركة التحرر الوطني ، فضلا عما يمكن انتظار حصوله من تطورات داخل اسرائيل ذاتها ، في ضوء الوضع الجديد ، وفي ضوء نسبة القوى التي تتغير على صعيد المنطقة وعلى الصعيد العالمي في صالح النضال التحرري للشعوب ، وفي صالح القوى المعادية للامبريالية .

على ان التسوية المقترنة بالتنازلات ليست دائما مبررة وان تكن ، في العمل الثوري ، ممكنة وضرورية ، في بعض الظروف . وقد اتبعت الحركات الثورية المعاصرة ، على اختلاف أنواعها ، منذ ثورة اوكتوبر حتى الثورة الفيتنامية ، سبيل التسويات الموقتة ، قبل التمكن من انتزاع كامل الحقوق في الارض ، كامل الاستقلال ، كامل التحرر . ولينين قائد اول ثورة اشتراكية في العالم يعطينا ، بموقفه من صلح برست ليتوفسك ، المنهج ، أؤكد المنهج لا الصيغة ، في حل معضلة من نوع المعضلات التي تواجه الحركات الوطنية الثورية في مراحل نضالها . ويقول لينين في معرض الرد على الذين يستحوذ الخوف واليأس عليهم من جراء توقيع صلح برست ليتوفسك : « **اننا لن نهلك حتى من عشرات من معاهدات الصلح المرهقة للغاية اذا نظرنا الى الانتفاضة والى الحرب نظرة جدية . ولن نهلك من الغزاة اذا لم ندع اليأس والجملة الطنانة يهلكاننا** » . ويقول ايضا في نفس الصدد : « **ان رفض توقيع صلح قذر للغاية ، اذا لم يكن عندك جيش ، هو مغامرة سيكون من حق الشعب أن يتهم السلطة التي تقدم عليه** » .

ان استشهادنا بصلح برست ليتوفسك ليس من قبيل المقارنة . فالمقارنة هنا غير جائزة . الا اننا نستشهد بمنهج لينين في معالجة قضية خطيرة واجهت الثورة في أصعب مرحلة من مراحل تطورها ، مرحلة كان يمكن ان تهلك فيها الثورة لو لم تلجأ الى